أعظم الكتب العربية

(١)

فـــوزى خـــضر

فى الصيدلة

الناشر



رقـم الإيـداع : ٩٨/٨٢٤٩
الترقيم الدولى : 977-276-393-1

الناشر
المكتب العربى للمعارف
١٠ ش الفريق محمد رشاد حسن
مصر الجديدة -ميدان الحجاز
ت : ٢٤٢١٥٢٦-٢٤٣٤٣٩٨
فاكس : ٢٤٨٨٦٥٣

تقديم

الكتب هى السجلات التى حفظت معارف البشرية، فنقلت خبرات الأقدمين إلى المحدثين، وساعدت الإنسان على أن يبدأ من حيث انتهى من قبله، وقد أعان هذا على أن تظل حركة التطوير دائمة فى نمو مطرد، وهى تشتمل على خلاصة الخبرات التى جمعها الآخرون، وتعد الكتب اختراعًا متقدمًا جدًّا إذا ما ألقينا نظرة سريعة على مسيرة الإنسان التى امتدت مئات الألوف من السنين.

وقد ابتدأ المؤرخون تاريخ العلم الإنسانى عند العصر الحجرى عندما قام الإنسان الأول بصنع آلات وأدوات وأسلحة من الحجر، ولاشك أنه حاول صناعة تلك الآلات والأسلحة وأخفق فى صناعتها فى بداية الأمر، ثم حاول مرات متتالية، إلى أن توصل إلى مايصلح لاحتياجاته، وهذه الصور البدائية من التجريب أعانت الإنسان على حل مشكلاته، وبالتالى عرف الطريق إلى العلم، وكان ذلك منذ مايقرب من أربعمائة ألف سنة حسب ماتدل الحفريات التى اكتشفها العلماء.

وعرف الإنسان كيف يصور حياته على جدران الكهوف -التى كان يسكنها- منذ حوالى ثلاثين ألف عام، فحفر أشكالاً لحركات يقوم بها، كما حفر صورًا لبعض الحيوانات التى كان يصطادها.

انتقل الإنسان إلى مرحلة أخرى منذ حوالى خمسة عشر ألف عام حين تحول من جامع للغذاء يلتقط الحبوب والثمار من الأشجار إلى منتج للغذاء إذ عرف الزراعة، ومن هنا عرف الأوقات المناسبة للبذر والغرس والأوقات المناسبة للحصاد، وأدرك العلاقة بين الزراعة وفصول السنة، ومع الاستقرار وازدياد العمران ظهرت معيشة الجماعات.

ومن الجدير بالذكر أن أعظم اكتشاف أفاد البشرية فى العصور البدائية الأولى هو اكتشاف الإنسان للنار، فقد طور هذا الاكتشاف الحياة البشرية تطويرًا مذهلاً.

وانتقل الإنسان بعد ذلك إلى عصر المعدن، ونشأت فئات متخصصة فى استخلاص المعادن من خاماتها، وعرف الإنسان التعدين، وانتقلت الحياة البشرية نقلة كبيرة، فبعد أن كانت أدواته وأسلحته لاتتعدى الحجارة وأخشاب الأشجار انفتحت أمامه دنيا عريضة من المعادن التى أسهمت فى حصوله على أسلحة فتاكة تعينه على القضاء على الوحوش المفترسة بأسلوب فعال وبجهد أقل، كما أسهمت فى تقدمه العلمى باختراع آلات وأدوات يدخل المعدن فى تركيبها.

وتكونت جماعات بشرية كبيرة على ضفاف وادى النيل، ثم نشأت الحضارة الفرعونية فى مصر، فعرف المصريون القدماء الزراعة على أصولها، ومسح الأراضى، والهندسة، وحساب الفيضان، والفلك، وتركيب أعضاء جسم الإنسان والتشريح، والكيمياء، ولعل الأهرامات

وفـن التحنيـط من الشواهد القاطعة على ماوصلوا إليه من رقى علمى، **وكذلك بعض معابدهم ذات المواقع الغريبة، مثل معبد أبى سمبل جنوب** أسوان الذى تدخله الشمس مرتين كل عام، مرة فى يوم مولد الفرعون، ومرة فى يوم اعتلائه عرش مصر، وهذا أمر مذهل يدل على ماحققوه مـن إنجـازات جبـارة فـى علـم الفلـك، وكـان القدمـاء يسـمون المصريـين (مـادى الحبـال)، وذلـك لأنهـم كانوا يمدون حبالاً، يقسم كل حبل إلى عقد بنسب معينة (٣،٤،٥ على سبيل المثال)، ويستخدمون تلك الحبال فـى المسـاحة والعمـران وتعيـين الموقـع الفلكـى لمحـور المعبـد الذى يريدون تشـييده، ويقـول "دمقريـط الأبديـرى" الـذى زار مصر فى القرن الخامس قبـل الميـلاد أنـه رأى الاحتفـال بمـد الحبـل، وهـو الـذى يتـم فيـه التعيـين الفلكى لمحور المعبد بحيث ينطبق على خط الزوال، وذكر أنه رأى أحد الكهنـة ينظـر إلى النجـم القطبى خلال عصا مشقوقة، بينما يقف كاهن آخـر معـه خيـط مثبـت فـى العصـا، ويتحـرك الكـاهن حتـى يـرى الخيـط والنجم القطبى فى اتجاه واحد، وعند ذلك يضرب كل منهم وتدًا فى الأرض، ثم يمد حبلا بين الوتدين فيتحدد بذلك اتجاه خط الزوال.

وقـد قـامت الحضـارات علـى ضفـاف الأنهـار، فكـانت الحضـارة الفرعونيـة فـى وادى النيـل، والآشـورية والبابليـة فيمـا بـين النهريـن، والصينيـة فـى مـاوراء النهـر، كمـا قامت الحضارة الفينيقية على الساحل الشـرقى للبحـر المتوسـط، وقـامت الحضـارة الهنديـة، والحضـارة الفارسـية فيما بعد.

وبازدياد العمران تشابكت المصالح فازدهرت التجارة، وتضاربت المصالح حينا آخر فقامت الحروب، وفى الحالتين احتاج الناس إلى العلم، فازدهرت علوم الفلك والرياضيات والتعدين والحساب والطب وغيرها، وتقدم كثير من الصناعات، وتطورت أساليب الزراعة.

وكان لكل حضارة مما ذكرنا عطاؤها الذى أفادت به البشرية بوجه أو بآخر، إلا أنه يهمنا فى هذا المجال أن المصريين والسومريين اخترعوا علامات تدل على حروف الهجاء أو المقاطع الهجائية، أما اختراع حروف الكتابة فقد بدأ فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد عند أهل جزيرة كريت وعند أهل رأس شمرا وأهل سيناء، إلا أن حروف الكتابة التى اخترعها الفينيقيون هى التى كتب لها البقاء، والتأثير فيما بعد، فإنه على مر الزمن أخذ اليونانيون حروف الكتابة الفينيقية، وأصلحوها بأن أضافوا إليها رموزًا جديدة، وجوهر الاختراع الفينيقى هو الدلالة على كل مخرج من مخارج الأصوات بأقل عدد ممكن من العلامات وبدون حدوث لبس، وهكذا اهتدى الفينيقيون إلى التوصل إلى حروف الكتابة ببساطة بالغة، استفادت منها الشعوب السامية الأخرى.

وامتدت مسيرة العلم الإنسانى فانتقلت المعارف التى حققتها الحضارات القديمة إلى الإغريق، وقد بدأت الحضارة الإغريقية -اليونانية- بهوميروس فى القرن التاسع أو الثامن من قبل الميلاد، وبدأ العلم اليونانى بالعالِم طاليس فى القرن السابع قبل الميلاد، ثم فيثاغورس

فى القرن السادس قبل الميلاد، ثم ظهر أبقراط وسقراط وأرسطو فى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، وبموت الإسكندر وموت أرسطو بعده بعام واحد سنة ٣٢٢ ق.م تفرق خلفاء الإسكندر فى البلاد، ووقعوا تحت الاضطهاد السياسى، فارتحل معظم العلماء إلى الإسكندرية حيث كان البطالمة يحكمون مصر، وكانوا معروفين بحبهم للعلم ورعايتهم للعلماء، وأنشئت جامعة الإسكندرية القديمة -وبها مكتبة الإسكندرية- فكانت منارًا للعلم عدة قرون، وأنجب العصر الإسكندرى عددًا من العلماء المرموقين أمثال بطليموس وإقليدس وجالينوس وديسقوريدس وهيرون وثاون وابنته هيباتيا وهيروقليس وأرشميدس وغيرهم، ثم وقع اضطهاد دينى بين المسيحيين والوثنيين فهاجر العلماء شرقًا، حيث استقر عدد منهم فى جنوب بساور.

وخَفَتَ التوهج فى شعلة الحضارة اليونانية بتفرق العلماء فى البلاد المختلفة، وإن ظلت لها بعض الإبداعات الفنية.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن ورق البردى المصرى قد حفظ للأجيال علوم اليونان وغيرهم، فإن اختراع الكتابة قد بلغ قميته الغالية بالنسبة للإنسانية حين اخترع المصريون أوراق البردى التى تفوقت على ماعداها من مواد الكتابة مثل العظام والفخار والعاج والجلد والكتان، إذ إن تلك المواد تظل قطعا غير متصلة ولايمكن الاحتفاظ بها مجموعة لعدة قرون من الزمان، أما ورق البردى فقد أدرك المصريون أنه يمكن لصق كثير من

الصفحات بعضها إلى بعض، كل ورقة فى ذيل الأخرى، فكونوا لفة من الأوراق يمكنها استيعاب أى نص مهما كان طوله سواء كان علميًّا أو أدبيا أو تاريخيا أو غيره، واختلف عرض لفة البردى من ٣ إلى ١٨ قدمًا، بينما توقف طولها على طول النص الذى تحتويه، وأطول بردية موجودة فى العالم هى بردية هاريس رقم ١ التى عرضها ١٦ قدمًا بينما يبلغ طولها ١٣٣ قدمًا، وهى محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٩٩٩٩، ويكفى أن نعلم أن مكتبة الإسكندرية احتوت على مئات الألوف من لفافات البردى التى تشتمل على العلوم والآداب المختلفة لندرك إلى أى مدى وصل العلم والأدب فى العصر الإسكندرى، وبعد اختراع المصريين للبردى بخمسة آلاف سنة تقريبًا، استطاع الصينيون أن يخترعوا الورق الذى أدى دورًا مهما فى نشر المعارف الحضارية فى العالم كله.

ونتيجة للاضطهاد الدينى -كما قلنا- اضطر علماء الإسكندرية إلى الهروب عبر البلاد، وكانت العلوم -آنذاك- مكتوبة بعدة لغات يأتى فى مقدمتها اليونانية، ثم السريانية والعبرية والهندية والفارسية، وهى اللغات التى كانت تجمع المعارف البشرية.

ثم سطع نور الإسلام على العالم، وأخذت تتوسع رقعة الدولة الإسلامية، حتى وصلت إلى مشارف الصين شرقًا، وإلى مشارف فرنسا غربًا، وانتشر الإسلام بين أهل تلك البلاد وانتشرت معه اللغة العربية

التى هى لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية للدولة الإسلامية.

وكانت الأمية متفشية، ولم يهتم الناس بتعلم الكتابة إلا فيما ندر، إذ إنهم كانوا يعظمون من شأن الذاكرة، ويعتمدون عليها، ولايشعرون بحاجتهم إلى الكتابة، فهم يحفظون القرآن الكريم، ويحفظون الأشعار، ويحفظون أيام العرب وتواريخهم، وينتقل بينهم مايعرفونه بالرواية، لدرجة أنهم جعلوا أخذ المعلومة من كتاب هى أدنى درجات العلم، بينما أخذه بالمشافهة يعد أعلى درجاته، إذ يكون مصدر المعلومة محققا فى تلك الحالة.

ولم يبدأ التدوين -بمعناه الواسع- إلا فى القرن الثانى الهجرى -الثامن الميلادى- فدوَّن العرب كتب الحديث والأدب والتاريخ، ثم امتد التدوين إلى فروع أخرى مثل الفقة والتفسير وعلم الرجال وغيرها، وبعد ذلك بدأت حركة الترجمة، ثم اتسعت لتشمل كل العلوم التى عرفتها الأمم الأخرى، وترجمت الكتب اليونانية والسريانية والفارسية، وأُنشئت المدارس والمكتبات، واهتم الخلفاء بالكتب واهتموا بترجمتها، لدرجة أن الخليفة المأمون كان يدفع وزن مايترجم ذهبًا! وامتد الاهتمام بالترجمة إلى الأسر الثرية مثل أسرة موسى بن شاكر الذى أحضر مترجمين وصرف لهم رواتب حتى يترجموا له كتب العلوم المختلفة، وانتشر التعليم وسار الاهتمام بالعلوم الدنيوية جنبًا إلى جنب مع العلوم الدينية.

وبدأ العرب بدراسة الكتب التى تمت ترجمتها، ثم أخذوا يكتبون شروحًا لها، ويسجلون مختصرات لبعضها، وظهر فلكيون وأطباء وصيادلة، فبنيت المراصد وأنشئت المستشفيات، وأقيمت المدارس التى تدرس فيها الرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وغيرها.

بدأت بعد ذلك مرحلة الإبداع العلمى، إذ لم يكتف العرب بما حصلوه من معارف بل أخذوا يطورون تلك المعارف ويبحثون فيها ويضيفون إليها، فبرز منهم كثير من العلماء فى شتى المجالات، وكانوا علامات مضيئة فى تاريخ العلم العالمى، وقامت الحضارة العربية بأيدى أبنائها وعقولهم المستنيرة وإخلاصهم فى عملهم وأبحاثهم، ولا يمكن لأمة أن تتقدم إلا إذا تفانى أبناؤها فى سبيل تقدمها مسلحين بالعلم المتطور والعمل الجاد والأخلاق الكريمة، فالعلم الحديث هو الذى يجعلهم يقفون على أرض معرفية صلبة، والعمل الجاد هو الذى يجعلهم يحققون الإنجاز والإضافة، والأخلاق الكريمة هى التى توفر لهم الأمانة العلمية والعملية، فلا يمكن للعالم الحق إلا أن يكون صادقًا مع نفسه وهو يقوم بأبحاثه، أمينًا فى أدائها وفى الاطمئنان إلى نتائجها.

وإن النظر إلى الحضارة الإسلامية يدعونا للفخر، فقد استطاع أجدادنا أن يقودوا العالم حين أخلصوا العمل وتفانوا فى سبيل العلم، وهذا الأمر يجعلنا نثق فى قدرات العقل العربى على الإبداع، وها هى

ذى النماذج أمامنا تشير إلى أن العرب بدءوا العمل العلمى الجاد على مستوى العالم أجمع، ولعل أسماء مثل د.مصطفى مشرفة، ثم د.مجدى يعقوب، ود.فاروق الباز، ود.أحمد زويل تكون هى بداية الغيث الذى سيعيد للعرب مكانتهم فى مسيرة الحضارة الإنسانية.

وقد طرح الأستاذ ممدوح الغالى فكرة تأليف عدد من الكتب تعرِّف الجيل الحالى بأهم الكتب العربية التى أسهمت فى تقدم البشرية فى كافة المجالات التى كتب فيها العرب أبحاثهم، وتفضل -مشكورًا- بالتحمس لطباعتها ونشرها، للتعريف بما قدمه العرب للعالم، وخاصة أنه ظهر عدد كبير من العلماء -من حدود الصين إلى حدود فرنسا- ألفوا كتبهم باللغة العربية، فكانت من أعظم الكتب التى أفادت الحضارة الإنسانية خلال مسيرتها الطويلة.

وقد جعلت كل كتاب فى علم من العلوم التى أسهمت العرب فى تقدمها، فبدأت الكتاب بنبذة عن ذلك العلم وتاريخه، ثم عرضت عددًا من الكتب العربية المختارة، وقد رأيت أن يعرض كل كتاب من خلال قصة تمهد للحديث عن الكتاب من جهة، وتحقق نوعًا من التشويق للقارئ من جهة أخرى، فتعينه على تقبل الحديث عن مادة ربما لاتكون من ضمن اهتماماته، وقد ذكرت تعريفا بالكتاب ومحتوياته، ثم أهميته، ثم ذكرت نبذة عن مؤلفه.

ولايخفى على القارئ مابذل من جهد فى سبيل جمع مادة للتعريف بهذه الكتب، خاصة أن بعضها نادر الوجود، وبعضها لايوجد إلا فى المخطوطات، ومنها ماهو فى مصر، ومنها ماهو خارجها، بالإضافة إلى المراجع العربية والأجنبية الخاصة بالعلوم وتاريخها، والتى تبين قيمة الكتاب وعظمته فى مجال تخصصه، لكن العناء يهون حين يرى الإنسان ثمرة عمله.

وأسأل الله -عز وجل- أن يكون فى هذه الكتب مايفيد المطلع عليها.

والله ولى التوفيق،

فوزى خضر

الإسكندرية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

علم الصيدلة

الصيدلة -بإيجاز شديد- هي العلم الخاص بالدواء المستخدم في علاج الأمراض، ومن الأرجح أن شجرة الزيتون تعد أول دواء استخدمه الإنسان، إذ يقال إن آدم -عليه السلام- شكا إلى الله عز وجل من بثور أصابت جلده، فخلق الله سبحانه وتعالى شجرة الزيتون ليستخدمها في العلاج، أو أنزلها من الجنة إلى الأرض.

وشجرة البلسان من أوائل الأدوية التى استخدمها الإنسان، إذ ورد أن امرأة مصرية كانت تعانى من أمراض كثيرة، فلما أكلت من أوراق تلك الشجرة عوفيت وزالت أمراضها، وتلك الشجرة لاتنبت إلا في منطقة بلبيس بمصر.

وقد كان الفراعنة من أول المكتشفين للصفات العلاجية التى تمتاز بها الأعشاب الطبية، إذ نشأ العشَّاب الأول، ونشأت صناعة العقاقير النباتية، وكان (تحوت المصرى) أحد العشابين الرواد، وله مؤلفات فى التشريح والأمراض الباطنية وأمراض النساء والجراحة والصيدلة.

ومن المعتقد أن كلمة PHARMCY مشتقة من الكلمة الفروعونية (فارما كى) ومعناها تحضير الأدوية من العقاقير، وقد تطورت صناعة الأعشاب مع مرور الزمن فنشأت منها صناعة العطارة، وكان المصريون القدماء يخزنون عطارتهم وأعشابهم فى مدينة بصعيد مصر هى (أبو

تيـج) التـى تتبـع محافظـة أسـيوط الآن، وكـانت تسـمى (أبـو تيكـا) أى المخــزن، ومنهــا اشــتقت الكلمــة اليونانيــة APOTHECARY وهــى المرادف لكلمة صيدلية، و لم تزل تستعمل حتى الآن.

وليس بمستغرب وجود كلمات مصرية قديمة فى اللغة اليونانية، فإن الحضـارة الأقـوى تفـرض مصطلحـات علـى الأمـم الأقـل تقدمًـا، لذلـك دخلـت كلمـات فرعونيـة وبابليـة وغيرهـا فـى اللغـة اليونانيـة، ودخلـت كلمـات يونانيـة وفارسـية فـى اللغـة العربيـة، ودخلت كلمات عربية فى اللغــات الأوروبيــة، ثــم دخلــت كلمــات أوروبيــة (إنجليزيــة وفرنســية وألمانية..وغيرها) إلى اللغة العربية.

وقـد كـان المصريـون القدمـاء متقدمـين بالنسـبة للعـالم، لذلـك كـان تأثـيرهـم واضحًـا وجليًّـا، فهـم أول من وضع دستورًا للأدوية حفظته لنا أوراق البردى، ويضم مجموعة كبيرة من المركبات الدوائية، يوضح اسم العقــار، ومقــدار الجرعــة المناســبة منــه، وطريقـة تناولـه، وأشـهر هـذه البرديـات الدوائيـة بردية إيبرس التى يرجع تاريخها إلى سنة ١٥٥٠ ق.م، وهى محفوظة فى مكتبة جامعة ليبزج.

وتوجد برديات أخرى تزخر بالمعلومات الصيدلية، منها البردية الطبية التـى تضـم أكـثر مـن ألفـى وصفـة دوائيـة مـع تعليمـات خاصـة بتنـاول الدواء، ومنها برديات محفوظة فى أكثر من مكان فى العالم، وقد دونها المصريون القدماء لتكون أساسا لفن الصيدلة بفروعه المختلفة.

وقـد استطاع اليونـانيون أن يطـوروا علـم الصّيدلـة خـلال حضـارتهم التـى ازدهـرت عـدة قـرون قبـل الميـلاد وبعـده، ويأتى في مقدمة العلماء الذين ساروا قدمًا بعلم الصيدلة ديسقوريدس الذى كان من أعظم علماء النبـات، وكتـب فـى النباتـات الطبيـة أبحاثًـا جليلـة كـانت هـى المصـدر الرئيسى لمعارف العرب فيما بعد.

وقد بدأت المعارف الصيدلانية اليونانية المدونة مع أبوقراط، إذ كتب فـى العقاقـير الطبيـة، ولكـن الصيـدلى الرائـد هـو العـالم ثيوفراسـتس (٣٧٢-٢٨٧ ق.م) الـذى ولـد بعـد وفـاة أبوقـراط بعـامين تقريبًـا، فقـد استطاع ثيوفراسـتس أن يؤلـف فـى علـم النبـات والـتراكيب الصيدلانيـة حسـب المنهـج العلمـى السـليم، الـذى يعتمد على الملاحظات الموضوعية والاسـتنتاج المنطقـى الصحيـح، وقـام بتأسـيس قسـم للنباتـات الطبيـة فـى الليسيوم، وهو المكان الظليل الذى اتخذه أرسطو لتعليم تلاميذه فى القرن الرابـع قبـل الميلاد، وخلفه ثيوفراستس فى رئاسته، وتطلق كلمة ليسيوم على أماكن العلم والفلسفة فى كثير من البلاد، وأطلقها الفرنسيون على المعاهد الثانوية الممتازة التى تشرف عليها الدولة ويسمونها ليسيه.

بعـد ذلـك بـدأ العصـر السـكندرى وظهـر نياكاندر حوالى سنة ٢٧٥ ق.م فـى مدينـة كولوفـن فـى إيونيـا وكـان فيلسـوفا عالمـا بالصيدلـة عالمـا بالسموم والترياقات، وله أشعار كثيرة ذكر فيها تحضير الأدوية، ثم ظهر كاسـيوس ديونيسـيوس مـن مقاطعـة أوتيكـا باليونـان (حـوالى سـنة ٨٨

ق.م)، وقد ألف رسالة في العقاقير الطبية، وبعده مباشرة أو في نفس عصره ظهر الحكيم أندروماخس الثاني وهو من العلماء التسعة الذين اشتهروا بتركيب (الترياق الفاروق)، وهو معجون يشفى من لسع الأفاعي السامة ونهش الحيوانات القاتلة.

ثم اشتهر أعظم عشابي وصيادلة اليونان بين (٣٢-٦٤ق.م) ونقصد العبقري ديسقوريدس صاحب كتاب الحشائش، وقد ذكر منافع الأدوية والأغذية وأوصافها وتأثيراتها الدوائية واستعمالاتها.

ويمضي الزمن حتى يظهر جالينوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وتضيف مؤلفاته في قوى الأدوية المركبة وفي الأدوية المفردة، وفي قوى الأدوية المسهلة وغيرها خطوات واسعة في طريق البحث الصيدلاني.

وظهر أطباء مهروا في علم الصيدلة مثل أوريباسيوس في القرن الرابع الميلادي وإيتيوس الآميدي في القرن السادس الميلادي، وآخر الأطباء الصيادلة من اليونانيين الذين ظهروا مع مولد الدولة الإسلامية هو بولص الأجانيطي الذي ألف موسوعة طبية سنة ٦٤٠ م، اشتملت على كثير من المعارف بشأن تحضير الأدوية.

عرف العرب بعض الأدوية قبل الإسلام ولكنهم لم يعرفوا الأدوية الطبية من طبيب دارس إلا من الحارث بن كلدة الثقفي، وكان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي زمن معاوية بن أبي سفيان،

عرف الطبيب ابن آثال الذى كان خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، وهناك أيضا الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقى الذى عاش حتى بدايات الدولة العباسية، وله رسالة فى الصيدلة والمداواة.

وتمت ترجمة أول كتاب صيدلى فى عهد الدولة العباسية وهو (كتاب السموم المستنبطة المستخرجة بالحيل والدلالة على مايضادها وينفيها ويدفع ضررها)، وقد ألفه الطبيب الهندى شاناق، وترجمه منكة الهندى إلى الفارسية، وترجمه العباس ابن سعيد الجوهرى من الفارسية إلى اللغة العربية فى عهد الخليفة المأمون حوالى عام(٢١٠ هـ -٨٢٥م).

وبالرغم من وجود كتب مؤلفة فى علم الصيدلة إلا أنها ارتبطت بالطب بصفتهما مهنة واحدة لايمكن الفصل بينهما، فالصيدلى هو الطبيب، والطبيب هو الصيدلى، وظل الأمر كذلك على مر العصور، حتى فصل العرب بين المهنتين فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨-١٩٦هـ)، حيث ذكرت المصادر أن عيسى المعروف بأبى قريش كان يجلس فى موضع بالقرب من قصر المهدى، وكان له دكان يبيع فيه الوصفات والمركبات الصيدلانية والأدوية، وهذا يدل على أنه لأول مرة فى تاريخ المهن الصحية تقوم مهنة الصيدلة مستقلة عن الطب، لكنها متعاونة معه ومع التمريض، وظهر الصيادلة المتخصصون فى أصول تركيب الأدوية وحفظها وصرفها للمرضى.

ودخل إلى مهنة الصيدلة بعض المدلسين، الذين غشوا الأدوية، فأمر الخليفة المأمون بامتحان أمانة الصيادلة، ثم أمر الخليفة المعتصم أن يعطى الصيدلى الذى يثبت أمانته شهادة لمزاولة المهنة، ثم أدخلت الصيدلة فى نظر الحسبة، فكان القاضى المسئول عن الحسبة يراقب ويفتش ويتابع عمل الصيدلى ومايحتوى عليه دكانه من أدوية .

وأنشأ المسلمون المدارس لتعليم الطرق العلمية الخاصة بتحضير الأدوية وطريقة تسويقها، وأخضعوا هذه الصناعة لرقابة الدولة لمنع الغش، وأنشأوا الصيدليات العامة، وكذلك الصيدليات الملحقة بالمستشفيات، وأسهم تفوق علماء النبات وعلماء الكيمياء فى تقدم علم الصيدلة، وازدهر عطاء الصيادلة العرب إذ قاموا بتأليف كثير من الكتب المتخصصة فى علم الصيدلة، بعد أن وضعوا قوانين هذا العلم.

ترجمت الكتب العربية بعد ذلك إلى اللغات الأوروبية، فكانت المصادر الأساسية لدراسة الصيدلة فى العالم أجمع، ونالت بعض الكتب شهرة عالمية مثل "تذكرة داود" وغيرها، وظلت تلك الكتب تدرس فى جامعات أوروبا عددًا من القرون، وكانت مصدرًا لانطلاق الأبحاث فى العالم كله حين بدأ عهد الحضارة الأوروبية .

أسهم التقدم العلمى والصناعى بعد ذلك فى تحسين صناعة الدواء وتفرع علم الصيدلة إلى عدة فروع علمية تدرس الآن بالجامعات، وظهر علماء فى العصر الحديث طوروا صناعة الدواء، واكتشفوا أنواعًا جديدة

من الأدوية، بعضهم حقق ثورة علاجية مثل البنسلين، الذى كان اختراعه فاتحة لاكتشاف المضادات الحيوية.

إن كل صيدلية نراها الآن فى طريقنا هى أحد المظاهر لعطاء العلماء العرب الذين كانوا أول من فصل الصيدلة عن الطب، وأول من أنشأ الصيدليات فى العالم ووضع لها قوانين عملها لضمان السلامة فى أدائها، ويعرض هذا الكتاب بعض الكتب العربية التى أسهمت فى تقدم علم الصيدلة فى العالم.

* * *

كتاب
تذكرة أولى الألباب
والجامع للعجب العجاب

هبط الطبيب فرانسوا سلم القصر مسرعًا، وأخذ يعدو فى البهو الكبير، تعجب الخدم، فقد جاء الطبيب لعلاج فرنسا، وها هوذا يخرج من القصر على هذه الصورة العجيبة، أسرع خلفه الخادم جوزيف، فرآه يأمر السائس أن يسرع إلى دار الحكيم جاك موريه، قفز الطبيب فرانسوا إلى العربة، وألهب السائس ظهور الجياد بالسواط، فراحت تنهب الأرض بركضها متجهة إلى شرق باريس.

توقفت العربة أمام منزل الحكيم جاك موريه، ودخل إليه الطبيب فرانسوا مسرعًا، تعجب الحكيم من منظره وسأله عما به، فأجابه الطبيب: ياسيدى أنت أستاذى فى الطب، وأنا الآن -كما تعلم- الطبيب الخاص للملك، وبالرغم من براعتى فى الطب إلا أننى ألجأ إليك حين يصادفنى ما لا أعلم له علاجًا.

استفسر الحكيم عما يبغيه تلميذه، فقال الطبيب فرانسوا: لقد وضع أحدهم السم للملك فى الطعام.

وقف الحكيم جاك موريه، فتوكأ على عصاه، وسار حتى وصل إلى

دولاب، أخرج من أحد رفوفه قارورة، أعطاها لتلميذه، وأمره أن يعطى منها للملك نصف كوب ثلاث مرات، بين كل مرة وأخرى ساعتان من الزمن.

شكر الطبيب فرانسوا أستاذه، وخرج مسرعًا، فقفز داخل العربة، وركضت الجياد مسرعة إلى قصر الملك، فصعد الطبيب سلم القصر يعدو، حتى دخل إلى مخدع الملك، وأمر مساعده أن يناوله كوبًا فارغًا، فملأ نصفه من القارورة التى أحضرها من عند أستاذه، وأعطى الكوب للملك الذى كان يمسك ببطنه ويتألم بشدة، وبمجرد أن شرب الدواء بدأ الألم يخف شيئًا فشيئًا.

لم يأت مساء ذلك اليوم -فى شهر أغسطس سنة ١٦٧٨م- إلا وكان الملك قد استرد عافيته، وفى اليوم التالى توصل إلى معرفة من وضع له السم فى الطعام، وأمر بأن ينال جزاءه الذى يستحقه، وفى اليوم الثالث ذهب إلى منزل الحكيم جاك موريه فى شرق باريس وقال له: لولا أنى أعلم أن صحتك لاتساعدك لكنت عينتك طبيبًا خاصًا لى، لكنى أشكرك على أى حال، لأنك أنقذت حياتى بذلك الدواء الذى أخذه منك طبيبى فرانسوا.

قال الحكيم جاك موريه: إن الدواء الذى بعثت لك به اسمه ترياق الفاروق، والرجل الذى اخترعه هو الذى يستحق الشكر.

تعجب الملك وسأله: أولست أنت الذى اخترعت ذلك الترياق؟

أجاب الحكيم: لا ، إنما الذى اخترع هذا الترياق المضاد للسموم هو الطبيب العربى داود الأنطاكى، وقد توفى منذ مايقرب من قرن من الزمان.

سأله الملك: وكيف وصل إليك هذا الترياق أيها الحكيم؟

أجاب : من خلال كتابه.

سأله الملك: وما اسم هذا الكتاب ؟

أجاب الحكيم: كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، حينذاك طلب الملك من الحكيم جاك موريه أن يحدثه عن ذلك الكتاب ومايشتمل عليه من معلومات دوائية، فذكر له الحكيم عجبًا عن الكتاب وعن صاحبه.

* * *

الكتاب

يُعد كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب أعظم الكتب العربية فى الصيدلة على الإطلاق، وهو أكثرها شهرة، ومعروف لدى العرب حتى العصر الحديث باسم (تذكرة داود)، وهذا الكتاب لايستغنى عنه صيدلى، ولا باحث فى علم العقاقير الطبية، إذ إنه يشتمل على أدوية كثيرة لم ترد فى غيره من الكتب.

وقد قسم داوود الأنطاكى كتابه إلى :

١- خطبة الكتاب .

٢- المقدمة وتقع فى أربعة فصول.

٣- الباب الأول : فى كليات علم الصيدلة ويقع فى خمسة فصول.

٤- الباب الثانى: فى القوانين الجامعة لأحوال المفردات والمركبات، حيث المفردات هى الأدوية المفردة، أى التى تتكون من مادة واحدة، وتلك المادة إما أن تكون نباتية أو حيوانية أو معدنية، وحيث المركبات هى العقاقير الطبية التى تتكون من أكثر من مادة، ويقع هذا الباب فى فصلين.

٥- الباب الثالث: فى ذكر المفردات (أى الأدوية المفردة) والأقراباذينات (أى الأدوية المركبة) وعمل كل منها، وقد رتبها داود الأنطاكى على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وهذا الباب يقع فى

٣١٠ صفحة من القطع الكبيرة، ويشتمل على ثلاثة آلاف صنف من الأدوية المختلفة، منها ماذكره الصيادلة السابقون، ومنها ما اكتشفه داود الأنطاكى.

٦- الباب الرابع: وهو فى الأمراض وما يخصها من علاج ، وقد وضع داوود الأنطاكى خطة للبحث فى الأدوية والعقاقير الطبية تتكون من عشرة قوانين هى:

١- ذكر اسم الدواء أو العقار باللغات المختلفة، بالعربية واليونانية والفارسية والتركية والبربرية.. وغيرها.

٢- ذكر ماهية الدواء ، وصفاته وشكله.

٣- ذكر الحسن والردئ من المادة التى تكون منها الدواء، سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية.

٤- ذكر منافع هذا الدواء فى سائر أعضاء البدن.

٥- كيفية استخدامه مفردًا.

٦- كيفية استخدامه مركبًا مع غيره من الأدوية.

٧- ذكر المضار التى يسببها هذا الدواء، أى الأعراض الجانبية .

٨- ذكر مايضاف إليه لكى يصلحه، حتى يمكن تفادى ماتسببه الأعراض الجانبية.

٩- مقدار الدواء الذى يجب أن يتناوله المريض.

١٠- ذكر البديل لهذا الدواء إذا لم يمكن توفيره والحصول عليه.

وقد أضاف إلى هذه القوانين العشر أمرين فى غاية الأهمية: أولهما مواطن الدواء وهو المكان الذى يوجد فيه النبات أو الحيوان أو المعدن الذى نستخرج منه هذا الدواء، وثانيهما الزمن الذى يقطع فى الدواء، أى مدة الصلاحية، فالكمون -مثلاً- الذى يداوى بعض حالات المغص- يظل صالحًا للاستخدام فترة أطول من تلك التى يظل فيها الليمون صالحا.

أهمية الكتاب :

ترجع أهمية كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب إلى اشتماله على معارف قيمة فى مجال الصيدلة، إذ جمع فيه داود الأنطاكى ٣٠٠٠ صنف من الدواء، وبوبها تبويبا جيدًا، يسر للباحثين التوصل إلى المعلومة التى يبغونها، كما أثبت به الأنطاكى عددًا كبيرًا من الأدوية التى اكتشفها بنفسه ولم تكن معروفة من قبل، وترجع أهمية الكتاب أيضا إلى أن أول كتاب يربط بين الطب والهندسة من ناحية، وبين الطب والجغرافيا من ناحية أخرى، ففى حرف الهاء -على سبيل المثال- تحدث عن الهندسة والسطوح والأشكال، ثم تحدث عن أن هرمس الأكبر هو الذى أصل الأشكال المستقيمة، وأن إقليدس أكمل مابدأه هرمس، حيث قاس الأقواس وغيرها، ثم تحدث عن علماء العرب فى الهندسة، خاصة نصير الدين الطوسى، ثم ذكر حاجة الطب إلى علم

الهندسة وأنه من ضرورياته فقال فى ذلك:

"اعلم أن الحاجة بالطبيب إلى علم الهندسة ضرورية، خصوصا فى صنعة اليد (أى الجراحة) لأن البط (أى الشق) والكى والجراح متى وقعت مستديرة خبثت وعسر برؤها، وربما فسدت مطلقا إذا انحرفت المادة فى الأغوار، وإن وقعت ذات زوايا : فعلى العكس مما ذكر، خصوصا إذا كانت الزوايا حادة، ولأن الآلات يجب أن تكون محكمة فى الوضع والتحرير لتطابق العضو المكوى مثلاً فيحصل الغرض، ولأن تركيب البنية الإنسانية يناسب كثيرًا أشكالها (أى أشكال الهندسة)، وقد شرطوا فى الكى والبط والشرط أن يناسب بها شكل العضو، فتجعل هلالية إن كانت فى العين، ومثلثة إن كانت فى الكتف، ومربعة لوحية إن كانت فى العقب..وهكذا، ولأن أهل الجبر قد شرطوا فى الجبيرة أن تكون مثلثة منفرجة الأضلاع، وكل ذلك لايتم بدون هذه الصناعة، أى صناعة الهندسة".

وذكر داود الأنطاكى أن الطبيب يحتاج أيضا إلى دراسة علم الجغرافيا لأن هناك أمراضا تصيب أهالى المناطق الحارة، بينما توجد أمراض لاتصيب إلا أهالى المناطق الباردة، والموقع الجغرافى يتميز بطقس معين، والطقس له تأثير فى انتشار أمراض بعينها -مثل أمراض المناطق الحارة- وله تأثير أيضا فى سرعة أو بطء تأثير الدواء، ومن هنا كانت دراسة الجغرافيا من الضروريات التى يحتاج إليها دارس الطب، وكان

داود الأنطاكي أول عالم يشير إلى حاجة الطبيب إلى الهندسة وإلى الجغرافيا.

ظل كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب مصدرًا لكثير من الأدوية التى استخدمها الأطباء فى أنحاء العالم، واعتمد عليه علماء أوروبا فى تعليم الطلاب علم الصيدلة فى المعاهد والجامعات الأوروبية مايقرب من قرنين من الزمان، بل لم يزل الكتاب مطلوبًا حتى اليوم من قبل طلاب المعرفة، وصدرت له مختصرات وشروح تناقلها الناس من تأليفه حتى الآن.

المؤلف :

مؤلف كتاب تذكرة أولى الألبات والجامع للعجب العجاب هو داود بن عمر الأنطاكي، ولد سنة ٩٥٠هـ فى أنطاكية ببلاد الشام، وقد نشأ فى بيت علم، وحرص والده على توفير المعلمين له، فحفظ القرآن الكريم فى عمر مبكر، وتفنن فى معظم فروع المعرفة، وأتقن المنطق والرياضيات واللغة اليونانية، وكان مغرمًا بالترحال فى طلب العلم، فقام برحلات إلى دمشق وبيت المقدس وغيرهما من البلاد، لذا عُرف إلى حدٍّ ما، إلا أنه لم يحقق الشهرة العريضة إلا بعد أن استقر فى القاهرة، فصار رئيسا للأطباء والصيادلة، وقد ذكر مؤرخو العلوم أن له أكثر من ٢٦ مؤلفًا منها: كتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من

الأدوية المجربة، وكتاب نزهة الأذهان فى إصلاح الأبدان، وكتاب النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة، وكتاب حجر الفلاسفة، ورسالة فى الفصد والحجامة، وكتاب فى استعمال التنجيم فى الطب، ورسالة فى الطير والعُقاب، ونموذج فى علم الفلك، ويأتى فى مقدمة مؤلفاته كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب الذى ألفه وعمره ٢٦ عامًا، وقد توفى سنة ١٠٠٨هـ عن عمر قدره ثمانية وخمسون عامًا.

يتبقى أن نذكر أن داود بن عمر الأنطاكى، ذلك الرجل العبقرى الذى ارتحل وحصل علمًا عريضا، وألف الكتب القيمة، والذى اكتشف الكثير من الأدوية منها المفردة ومنها المركبة، والذى ربط بين الطب والجغرافيا، وربط بين الطب والهندسة، والذى لم يزل كتابه (تذكرة داود) مفيدًا للناس حتى يومنا هذا، الرجل الذى كان رئيسا للصيادلة والأطباء فى عصره، والذى عرف بألقاب كثيرها منها: الحكيم، والماهر، والفريد، والطبيب الحاذق، والعالم الكامل، والعلامة الطبيب، والصيدلانى الأريب، وأبقراط زمانه، ذلك الرجل الذى شهد العالم كله بعبقريته وتفرده وامتيازه، ذلك الرجل الذى نال تقدير العالم كله فدرس كتابه فى الجامعات فى مادة العقاقير الطبية أمدًا طويلاً، ذلك الرجل الذى يعد من أشهر الصيادلة فى تاريخ البشرية كله، كان ضريرًا !

تعجب ملك فرنسا مما سمعه عن داود الأنطاكى وكتابه من الحكيم

جاك موريه، وطلب منه نسخة من كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، فلما أخذها منه أودعها فى مكتبة باريس الوطنية حتى تكون مرجعا لأجيال الأطباء يفيدون منها، وتعينهم على مداواة الناس.

* * *

كتاب
الأدوية المفردة

جلست السيدة العجوز أمام المدفأة وهى تلتف فى ثيابها الصوفية، وتضع على كتفيها شالاً أزرق اللون، جلست حزينة فالساعة قد اقتربت من العاشرة مساءً ولم يأت ولدها ألفونسو لزيارتها كما اعتاد مساء السبت من كل أسبوع.

فجأة طرق أحدهم الباب، ونبح الكلب، وأسرعت الخادمة ففتحت الباب وتهلل وجهها، لقد جاء السيد ألفونسو أخيرًا.

أسرع إلى حيث تجلس والدته، وبالرغم من أنها كادت تجن لتأخره عن المجئ إليها، إلا أنها أدارت وجهها بعيدًا عنه، تعبيرًا عن غضبها لأنه تأخر عن زيارتها.

اعتذر لها وطلب منها أن تعطيه فرصة كى يخبرها بالسبب الذى جعله لايجئ إليها عصرًا ككل أسبوع، فقالت له: أعلم أن زوجتك هى السبب، فهى لاتكتفى بوجودك معها طوال الأسبوع، وتريد أن تحرمنى من رؤيتك بضع ساعات.

ضحك ألفونسو وقال لها: إن زوجتى بريئة يا أماه، إنما العمل هو الذى أخرنى عن المجئ إليك.

نظرت إليه والدته العجوز نظرة شك فيما يقول فهى تعلم أنه لايعمل مساء السبت ويوم الأحد بأكمله، لكنه سارع بتوضيح الأمر لها، فأخبرها بما حدث له قائلاً:

تعلمين يا أمى أنى أعمل صيدلانيا، وهذه المهنة تحتاج إلى براعة فى تحضير العقاقير الطبية، وأنا من أبرع الصيادلة فى شمال أسبانيا، وكانت أمورى تسير على مايرام، وحتى حدث ماكدر علىَّ حياتى، وهدد سمعتى فى مجال عملى!

حينذاك بدأ الاهتمام على وجه والدته، وتركت الخادمة الشراب الدافئ الذى كانت تعده له، وجلس الكلب بجوار قدميه بعد أن كان يقفز حواليه، سألته والدته عما حدث، فأخبرها أن صيدلانيا جاء من الجنوب، وأبدى براعة منقطعة النظير فى تحضير الأدوية، فاتجه إليه الأطباء، مما أدى إلى رواج عمله، وركود عمل ألفونسو وزملائه.

تعجبت الأم، فهى تعلم أن ولدها قد أحب الصيدلة ودرسها على أحسن مايكون، وانزعجت أن يكون هناك من هو أبرع منه فى هذا المجال، وسألته عن السر وراء براعة ذلك الصيدلانى الذى جاء من الجنوب، فأجابها قائلاً:

السر يكمن فى كتاب أحضره معه، هذا الكتاب ألفه عالم أندلسى اسمه أبو جعفر أحمد الغافقى، فيه معلومات لاتوجد فى غيره من الكتب التى ألفها العلماء فى علم الصيدلة، وقد ذهبت إلى ذلك الصيدلانى لعله

يعيرنى الكتاب، لكنه رفض رفضا تاما، فحاولت أن أعرف منه بعض المعلومات عن الكتاب، فعلمت أنه موجود فى قرطبة.

صرخت أمه، وحذرته من السفر إلى قرطبة، فهى لن تسمح له بأن يتغيب عنها عدة شهور، حتى لو أدى الأمر إلى تركه مهنة الصيدلة.

قام ألفونسو فقبل جبين والدته، وجلس يثرثر معها، ويحكى لها الحكايات الظريفة كعادته، لكنه حين هم بالانصراف قرأت والدته خطوط الأحزان فى وجهه ولمحت حبال الهموم فى عينيه، وحينذاك قررت أمرًا.

فى اليوم التالى أخرجت الأم علبة مجوهراتها، واستدعت أحد الفرسان وأرسلته فى مهمة إلى قرطبة لشراء كتاب الغافقى.

مرت أربعة شهور، وحال ألفونسو ينحدر من سيئ إلى أسوأ، فالمرضى يهرعون إلى الصيدلانى الآخر، وصار لايبيع إلا ماندر من الأدوية.

حين ذهب إلى والدته فى عصر أحد أيام السبت أخبرته أنها أحضرت له هدية، ومنحته كتاب الأدوية المفردة للغافقى، فصرخ ألفونسو من الفرحة، وسأل والدته، فأخبرته أنها بعثت من جاء لها بالكتاب من قرطبة.

جاء ألفونسو لزيارة والدته فى الأسبوع التالى وهو متهلل الوجه، فقد راج عمله واستعاد سمعته وصار الصيدلانى البارع مرة أخرى،

فسألته والدته أن يحدثها عن ذلك الكتاب الذى له عمل السحر، فجلس يخبرها بقيمته ومايشتمل عليه، ويحدثها عن الغافقى مؤلف الكتاب.

* * *

الكتاب

يُعد كتاب الأدوية المفردة أول موسوعة دوائية عرفتها البشرية، ألفه العالم العربى أبو جعفر أحمد الغافقى، وجمع فيه كل ماذكر قبله من أنواع الأدوية المفردة، وأضاف إليها ماتوصل إليه علماء عصره، كما أضاف إليها ماتوصل إليه هو شخصيًّا من أنواع الدواء، وقد اقتصر فيه على ذكر الأدوية المفردة ، وهى العقاقير الأصلية التى تم استخلاصها من مصادر نباتية أو حيوانية أو معدنية، ولم يذكر فى موسوعته الأدوية المركبة.

لاحظ الغافقى أن أكبر عاملين فى الصيدلة فى العصور القديمة هما ديسقوريدس وجالينوس وهما من علماء اليونان العباقرة، لكنه لاحظ أيضا أن فى كتاباتهم عيبا هو الإطالة، فهما يطيلان الكلام أحيانا عن بعض الأدوية، ويدخلان فى تفريعات ليس لها أية قيمة علمية، ولاحاجة إليها، ولذلك رأى أن يؤلف كتابًا يستقصى فيه الأدوية التى ذكرها كل من ديسقوريدس وجالينوس على أن يكون بألفاظ موجزة، وبمعانٍ تامة،

ثم رأى الغافقى أن يضيف إليه ماتوصل إليه علماء اليونان من أدوية بعد هذين العالمين الجليلين، ثم رأى أن يضيف إليه ماتوصل إليه علماء العرب، ثم ماتوصل إليه هو من خلال تجاربه الدوائية، ونال كتابه شهرة عريضة لأنه كان مختلفا عن كل المؤلفات العربية الأخرى التى اقتصرت على الأدوية المعروفة فى بلاد المسلمين، إذ جمع المعلومات الدوائية التى أحاط بها علماء اليونان والعرب على السواء، ونقح تلك المعلومات قبل أن يذكرها فى كتاب الأدوية المفردة.

اشتمل الكتاب على ألف صنف من الأدوية التى لايتكون كل دواء منها إلا من مادة واحدة، وهى المسماة بالعقاقير الأصيلة لأنها تتكون من أحد الأصول الثلاثة، أصل نباتى، وأصل حيوانى، وأصل معدنى، والدواء يؤخذ من النباتات الطبية، وهى نباتات شجرية، وعشبية، وزهرية، وفطرية، وطحلبية، ويكون الدواء فى تلك الحالة عبارة عن نبات يتناوله المريض لعلاج مرضه، مثل الآس، وحب البركة، والبابونج، والصبر، والكمون، واللبان، والنعناع، والمر، والسكران، والقرفة، وقشر الرمان...وغيرها.

أما الأدوية التى تؤخذ من أصل حيوانى وتستخدم مفردة دون تركيب مع غيرها فهى أقل من الأدوية التى تؤخذ من أصل نباتى، ومنها غدد الثور، ومرارته، وعسل النحل، والشمع، والقرون، والكبد، واللبن، والبيض، والصدف...وغيرها.

والأدوية المأخوذة من أصل معدني منها: كالكحل، والشب، والرصاص، والحجر الجيرى، والجير المطفأ، والكبريت، وكربونات الملح، والملح...وغيرها.

ولم يكتف الغافقى بذكر الدواء بالعربية واللاتينية والبربرية فحسب بل وصف أيضا الدواء وصفًا علميًّا دقيقًا، وشرح طريقة استعماله.

وقدم الغافقى فى كتابه نصائح للطبيب والصيدلى على حد سواء فقال:

"إن الطبيب يجب أن يعرف -تماما- الدواء الذى وصفه لعليله، ولكن يجب ألا يتدخل فى صنعه، فيترك صنع الدواء للصيدلى الذى يلزمه أن يكون مطلعا على استعمال الأدوية وطريقة تحضيرها".

أهمية الكتاب :

اعتمد العلماء فى مجالى الصيدلة والطب على كتاب الأدوية المفردة الذى وضعه الغافقى فى شكل موسوعة دوائية هى الأولى من نوعها فى العالم، وكما اعتمد عليه علماء العرب والمسلمين، اعتمد عليه أيضا علماء أوروبا، وقد وهب بنفسه نسخة من كتابه إلى أحد العلماء الأسبان لأنه كان يرى أن العلم يجب أن يكون متاحا لكل من يبغى أن يتزود به، وكانت الأدوية المذكورة فى الكتاب معتمدة ومضمونة النفع، إذ إن الغافقى لم يذكر فى كتابه إلا الأدوية التى أجمع العلماء

السابقون على نفعها وسلامتها، وكان يجرى تجاربه على الدواء إذا تشكك فيه، لهذا يعد كتاب الأدوية المفردة من المصادر المهمة لدارسى الدواء والمحتاجين إليه، يضاف إلى هذا أنه لم يكن مجرد كتاب جامع لأنواع الدواء، وإنما ضمنه الغافقى كثيرا من الآراء عما يجب أن يقوم به الطبيب الواصف للدواء، وما يجب أن يقوم به الصيدلى، وقد حاول الغافقى بكل ما أوتى من علم أن يقنن مؤهلات الصيادلة، حيث قال إنه يجب أن يكون الصيدلى ملما إلماما تاما بطريقة تحضير الأدوية، وطرق استعمالها، خاصة أنه كان قد دخل فى مجال الصيدلة فى عصره أدعياء ليسوا محصنين بالعلم، ومن منطلق رأى الغافقى بشأن مقومات الصيدلى جاء كتابه الأدوية المفردة على شكل موسوعة، واستخدم اللغات الشائعة آنذاك وهى العربية واللاتينية والبربرية -لغة أهل المغرب- فكتب اسم كل دواء بهذه اللغات الثلاث حتى تتيسير للدارس معرفة الدواء بالتحديد.

وقد ضاعت أجزاء كثيرة من كتاب الغافقى مع التقلبات السياسية فى الأندلس، وتعقبه سوء الحظ فضاعت النسخ اللاتينية من الكتاب مع التقلبات السياسية فى أوروبا والتى كانت آخرها الثورة الفرنسية، إلا أن قطعًا وفيرة من كتاب الأدوية المفردة حفظت لنا عند كتاب متأخرين، وعلى الأخص عند ابن البيطار، والمادة التى ورثناها من كتاب الغافقى تكفى لوضع ذلك العالم الفذ فى قمة الصيادلة، فكتابه يمثل أثرًا من

الآثار الخالدة التى تركها علماء العرب، وكان من أبرز العوامل التى أعانت على تقدم علم الصيدلة فى أوروبا، وكان من الأسس القوية التى مثلت دعائم قامت عليها الصناعة الحديثة للأدوية.

المؤلف :

مؤلف كتاب الأدوية المفردة هو العالم العربى أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقى، ولد فى أواخر القرن الخامس الهجرى فى مدينة غافق التى تقع بالقرب من قرطبة ببلاد الأندلس، ودرس كثيرًا من العلوم، وتخصص فى الطب والصيدلة والمنطق، ثم ركز كل اهتمامه فى الصيدلة، فأبدع فيها أيما إبداع، ونال شهرة عظيمة، لم يحصل عليها كثير من علماء العرب فى هذا الميدان، وقد اعترف له علماء الصيدلة فى الشرق والغرب بمكانته الرفيعة بين صيادلة العالم، كما أثنى عليه معاصروه ثناء عظيمًا، وذلك بسبب تواضعه الملحوظ، إذ سما العلم بنفسه وصقل روحه فخفض جناحه للناس، وظل معظم حياته فى طلب العلم وتدريسه، وقد ألف كتابين هما : كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الأدوية، وقد توفى أبو جعفر أحمد الغافقى فى قرطبة سنة ٥٦٠ للهجرة.

لم ينتبه ألفونسو إلى مرور الوقت إلا بعد أن فرغ من حديثه -لوالدته- عن الغافقى وكتاب الأدوية المفردة، حينذاك اكتشف أنه قضى وقتًا أطول من اللازم فى منزل والدته، وتذكر أن زوجته قد

أوصتــه بـالعودة سـريعا، إذ إنهـا تشـعر ببدايـات آلام الـولادة، استأذن ألفونسـو مـن والدتـه، وأسـرع إلى البـاب، حينمـا جـرى الكلـب وراءه يودعه بنباحه، وكانت الخادمة تنظر من النافذة وقد سرحت فى حكاية الغـافقى وكتابـه العجيـب، فلـم تنتبـه إلى السـيدة العجـوز وهـى تناديهـا وتطلب منها أن تحكم إغلاق الباب.

* * *

كتاب

قوى الأدوية المفردة

عـاد دونـالد إلى المنزل شـارد الفكـر فـي ذلـك اليـوم البهيـج مـن أيـام الربيـع، سـألته والدتـه عن سبب شروده، وكانت تعلم أن دراسة الطب التـى بدأهـا ولدهـا ليسـت بـالأمر السـهل، وتوقعت أن يكون قد حدث مايعكر صفوه، لكنها أرادت معرفة السبب حتى تخفف عنه، فأخبرها أن الأستاذ الـذى يعلمهـم الطـب قـد أخـبرهم أن هنـاك كتابًا عظيمًا، يجعل الطبيـب يـدرك منـافع الأدويـة علـى حقيقتهـا، وحـين سـألوه عـن ذلـك الكتاب رفض أن يحدثهم عنه، تعجبت الأم وسالته عن السبب فأجابها قائلاً:

يقول إن هذا الكتاب لم يؤلفه صاحبه لمن يتعلمون مهنة الطب.

زارد تعجب الأم، فأوضح لها دونالد الأمر قائلاً:

يقـول إن هـذا الكتـاب يفيـد الأطبـاء الذيـن تمكنـوا بـالفعل مـن معرفـة أسـرار العلـوم الطبيـة، فلمـا ألححنـا عليـه فـى ضـرورة إخبارنـا عـن ذلـك الكتاب، وعدنا بأن يحدثنا عنه حين نستكمل دراستنا استكمالاً تامًّا.

ضحكـت والدتـه، وقـالت لـه: إن الأمـر لايستدعى كل هذا الحزن. ونظـرت إلى ولدهـا الشـاب وتصورتـه لم يـزل طفـلاً، ورأت طباعـه لم تتغير، فقد كان يغضب حين يعود والده إلى البيت ومعه علبة مغلقة أو

لفافة لايتبدى مافي داخلها، حينذاك كان دونالد يبكي، ويصر على معرفة ماتحفظه العلبة وماتحويه اللفافة، ولاينقطع عن البكاء حتى يعرف مايريد، تحدثت إليه فى أمور شتى حتى جعلته يشاركها الحديث، وظنت أنه نسي موضوع ذلك الكتاب المهجول.

مرت سنة وتخرج دونالد من كلية الطب، وكان أستاذه معجبًا بتفوقه وبراعته، وكان دونالد يتحرق شوقًا لمعرفة ذلك الكتاب الذى لايقرؤه غير الأطباء البارعين .

وذات يوم ذكر دونالد لأستاذه أنه يبغى معرفة ذلك الكتاب الذى حدثهم عنه من قبل، فذكر له عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وأبلغه أنه توجد نسخة منه فى مكتبة الجامعة.

استعار دونالد الكتاب، وعكف على قراءته باهتمام، وذات يوم دخلت إليه والدته فلم يشعر بها لانهماكه فى القراءة، سألته عما يقرأ فأبلغها أنه يطالع ذلك الكتاب العجيب الذى كان أستاذهم قد حدثهم عنه من قبل، وقال إنه لايمكن لأحد أن يستوعب مافيه من معلومات إلا إذا كان طبيبًا ماهرًا عالِمًا. وسألته والدته عن اسم ذلك الكتاب فقال : اسمه كتاب قوى الأدوية المفردة.

سألته : من مؤلفه ؟

فأجابها : عالم عربى اسمه أحمد بن أبى الأشعث.

كان الاسم غريبًا على مسامع الأم، ربما لأنه ليس لأحد الأسماء التى

اعتاد الإنجليز على سماعها، لكنها -على أى حال- كانت فى شوق لمعرفة مايشتمل عليه ذلك الكتاب فتجعله لايقرأ إلا من قبل الأطباء المتخصصين البارعين، لذلك طلبت من ابنها دونالد أن يحدثها عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه.

وجلست الأم مثل التلميذه أمام ولدها الذى حدثها باختصار عما يشتمل عليه الكتاب، وقرأ على مسامعها بعض صفحاته.

* * *

الكتاب

يشتمل كتاب قوى الأدوية المفردة -الذى ألفه أحمد بن أبى الأشعث- على مقدمة وثلاث مقالات .

المقدمة :

يتحدث فيها عن السبب الذى دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، وهو أن تلاميذه طلبوا منه تأليف كتاب يكون مرجعًا لهم، وفى مقدمة هؤلاء التلاميذ الطبيبان العالمان محمد بن ثواب وأحمد البلدى، وهما من فقهاء علم الطب، لذلك ألف لهما -ولمن فى مستواهما من الأطباء- كتابه

قوى الأدوية المفردة، فهم الذين يمكنهم الانتفاع بما فيه من معلومات إذ يمكنهم استعياب ماكتبه، ويمكنهم -أيضا- أن يعرفوا مما قال مايجعلهم يتصرفون بحكمة فى استخراج أدوية أخرى لم يذكرها فى كتابه، فهم يَهُونُ عليهم التعب فى سبيل العلم، وفى ذلك يقول ابن أبى الأشعث:

"سألنى أحمد بن محمد البلدى أن أكتب هذا الكتاب، وقديما كان سألنى محمد بن ثواب، فتكلمت فى هذا الكتاب بحسب طبقتهما، وكتبته إليهما، وبدأت به فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، وهما فى طبقة من تجاوز تعلم الطب، ودخلا فى جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة، ويفرع ويقيس ويستخرج، ومن فى طبقتهما من تلامذتى، ومن ائتم بكتبى، فإن من أراد قراءة كتابى هذا، وكان قد تجاوز حد التعليم إلى حد التفقه، فهو الذى ينتفع به ويحظى بعلمه، ويقدر أن يستخرج منه ما هو فيه بالقوة مما لم أذكره، وأن يفرِّع على ماذكرته ويشيد، وهذا قولى لجمهور الناس دون ذوى القرائح الأفراد التى يمكنها أن تتفهم هذا ومافوقه بقوة النفس الناطقة فيهم، فإن هؤلاء تسهل عليهم المشقة فى العلم، ويقرب لديهم مايطول على غيرهم".

المقالة الأولى :

يتحدث فيها أحمد بن أبى الأشعث عن منافع النبات بالنسبة لجسم الإنسان، والأدوية المستخرجة من النبات، وهو يقتصر فى كتابه على

الأدوية المفردة التى تستخدم دون تركيبها مع دواء آخر، والمقالة الأولى مقسمة إلى أبواب حسب الحروف الهجائية، ونكتشف فى تلك المقالة فوائد كثيرة موجودة فيما نتناوله من أطعمة نباتية، مثال ذلك قوله عن البصل فى الباب الخاص بحرف الباء:

"ماء البصل ينفع القروح المتسخة، وإذا سعط (أى استنشقه الإنسان) نقى الرأس، ويقطر فى الأذن لثقل الرأس والطنين والقيح فى الأذنين، والاستكثار منه يضر بالعقل لتوليد الخلط، وهو يكثر اللعاب، وعصارة المأكول منه تنفع من الماء النازل فى العين، وتجلو البصر، ويُكْحَلُ ببزرها مع العسل بياض العين، وأما البصل مع العسل (أى عسل النحل) فيمنع من الخناق، ويفتح أفواه البواسير، وجميع البصل مهيج، وماء البصل يدر الطمث ويلين الطبيعة".

ويقول المؤلف فى الباب الخاص بحرف الحاء:

"أما الحلبة فهى تدر الحيض ، وتنفع من القولنج، وروى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : لو تعلم أمتى مافى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا".

ويمضى المؤلف فى عرض الفوائد الطبية للنباتات المختلفة، فيقول إن شراب الرمان الحلو يقطع السعال، وشراب الرمان الحامض المنعنع يمنع القىء، ونمضى عبر أبواب تلك المقالة فنعلم أن شراب العناب (الكركديه) ينفع المرضى المصابين بالجدرى والحصبة، وأن الفلفل يحلل

الرياح، فيخلص البطن من الغازات، وأن اللوز الحلو يشفى من السعال ويفيد البدن ويغذيه غذاءً جيدًا، واللوز المر يفتت الحصى الموجودة فى المجارى البولية، ويعرض المؤلف لكل نبات بأسلوب مفيد فيقول -مثلاً- فى حرف الكاف:

"الكرنب منه ملفوف كالسلق، ومنه مايحيط بزهر تنفصل قطعا وهذا هو القنبيط، ومنه مايشبه السلجم (أى اللفت) وكل هذه الأنواع نباتات بستانية (أى تنبت فى البساتين) والكرنب منضج، ملين، مجفف، خصوصا إذا طبخ وصب عنه الماء الأول، وله خاصية تسكين الأوجاع، ينفع من كل ورم حار، ومن الأورام البلغمية، ومن الحمرة، وينفع الجرب المتقرح، ويتغرغر بعصيره أو طبيخه مع دهن الخل فينفع من الخوانيق، وأكله يصفى الصوت، ويدر البول والطمث، وبزره بماء الترمس يقتل الديدان، ورماد جذوره يفتت الحصاة".

ونلاحظ أن المؤلف يسوق معلومات مفيدة جدًّا عن المنافع الطبية لتلك النباتات، لكن معظم مايذكره يحتاج بالفعل إلى متخصص حتى يمكنه استخدامه بطريقة تحقق الفائدة المرجوة، فهو حين يقول -على سبيل المثال- إن عصيره أو طبيخه مع دهن الخل يشفى من الخوانيق، فإننا لاندرى بالضبط مايجب استخدامه من مقادير من عير الكرنب أو طبيخه بالقياس إلى مقادير دهن الخل، هل هى مقادير متساوية؟ هل يزيد عصير الكرنب عن دهن الخل؟ ومامقدار الزيادة؟ أهى ضعف الكمية أم

ضعفان؟ أم ثلاثة أضعاف؟ أم يزيد بمقدار النصف أو الثلث أو الربع؟ أم ترى الزيادة تكون فى دهن الخل وليس فى عصير الكرنب أو طبيخه؟ الأطباء فى عصره كانوا يدركون تلك المقادير، لهذا ذكر فى مقدمة كتابه أن هذا الكتاب تم تأليفه لينتفع به الأطباء المتخصصون ولم يوجهه إلى عامة الناس.

المقالة الثانية:

ذكر فيها مايستخرج من الجماد من أدوية مفردة، وقصد بالجماد المعادن، وقد قسمها هى الأخرى إلى أبواب بحسب الحروف، بدأها بحرف الألف حيث ذكر الإثمد وهو الكحل، وذكر أنه يحفظ صحة العين، ويمضى مع الحروف حتى يصل إلى حرف الذال فيذكر الذهب وتأثيره النفسى والصحى على الإنسان فيقول:

"الذهب من المفرحات، وينفع من الغم، وقال حنين بن إسحق: الذهب فى غاية الاعتدال، ينفع من وجع القلب المزمن، ويضر بالمثانة، ويصلح بالعسل والمسك".

المقالة الثالثة:

كتبها فى الأدوية المفردة المستخرجة من الحيوان مع ذكر منافعها للإنسان، وقد بدأ المقالة بالأطعمة التى ينتجها الحيوان وتمثل أدوية العلل التى تصيب أبدان الناس، فذكر اللحم واللبن والعسل والدهن والزبد وغيرها، ثم ذكر مايؤخذ من الحيوان ويستخدم دواء لبعض الأمراض

مثل الحوافر والقرون والشوك المطحون وغيرها، حيث الحيوان يقصد به أيضا الطيور والحشرات والحيتان (أى الأسماك) إذ يستخرج منها أدوية فيها منافع للإنسان من حيث حفظ صحته ومداواة بعض مايصيبه من أمراض.

أهمية الكتاب :

يُعد كتاب قوى الأدوية المفردة من الكتب التى نالت قدرًا عظيمًا من عناية العلماء فى الشرق والغرب قرونًا طويلة، إذ اشتمل على معلومات دوائية فى غاية الأهمية، كما احتوى على كثير من الأدوية التى اكتشفها مؤلفه أحمد بن أبى الأشعث ولم تكن معروفة من قبله، مما رفع من قيمة الكتاب، وقد ترجم إلى اللاتينية ثم إلى عدة لغات أخرى، وكان واحدًا من المصادر المهمة فى دراسة الطب والصيدلة فى جامعات العالم سواء فى العالم الإسلامى أو فى أوروبا، كما كان له أثره العميق فى تقدم علم الصيدلة، إذ اعتمد عليه العلماء الذين جاءوا من بعده.

المؤلف :

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى الأشعث، ولد فى بلاد فارس فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، درس عدة علوم، وبالرغم من تعمقه فى دراسة الطب والصيدلة إلا أنه عمل فى بداية حياته صيرفيًا

فى بلاد فارس، إلى أن تبدلت الأحوال ووقعت اضطرابات فصودرت أمواله، وخرج من بلاده هاربًا حتى وصل إلى الموصل فاستقر بها، وحين دخل الموصل علم بمرض أحد أولاد أميرها ناصر الدولة، وعجز الأطباء عن مداواته، فعالجه أحمد بن أبى الأشعث، ونتيجة لذلك ارتفعت مكانته فتفرغ للطب وإجراء الأبحاث على الأدوية المختلفة والتأليف، ومن أفضاله على علم الطب أنه كان دارسًا لكتب جالينوس دراسة عميقة مما مكنه من تقسيم كتبه الستة عشر المشهورة إلى جمل وأبواب وفصول، وهو تقسيم لم يسبقه إليه أحد، فأعان بذلك جميع الدارسين لكتب جالينوس الطبية، إذ سهل على الباحثين التوصل إلى الموضوع الذى يرغبون فى البحث عنه، وكان لابن أبى الأشعث تلاميذ صاروا جميعهم من كبار العلماء فى الطب والصيدلة فيما بعد، منهم أبو الفلاح ومحمد بن ثواب وأحمد بن محمد البلدى، وكان أحمد بن أبى الأشعث واسع الثقافة غزير العلم، ومن كتبه التى ألفها:

كتاب الغاذى والمغتذى، كتاب الأدوية المفردة، كتاب الحيوان، كتاب العلم الإلهى، كتاب الجدرى والحصبة والحميقاء، كتاب السرسام والبرسام ومداواتهما، كتاب القولنج وأصنافه ومداواته، كتاب البرص والبهق، كتاب الصرع، كتاب الاستسقاء، كتاب ظهور الدم، كتاب الماليخوليا، كتاب تركيب الأدوية، كتاب أمراض المعدة ومداواتها.

وقد عمر أحمد بن أبى الأشعث طويلاً وتوفى سنة ٣٦٠ للهجرة.

فـرغ دونالد من حديثه عن كتاب قوى الأدوية المفردة وعن مؤلفه أحمد بن أبى الأشعث، و لم تعلق والدته بشئ على ماسمعت، وحين سألها عن ذلك قالت:

إنمـا أمعن التفكـير فيمـا سمعتـه منـك يادونـالد، لقـد كـان لابـن أبـى الأشعث هذا فضل كبير على الدنيا بأسرها، وإنى أنظر إليك الآن راجية أن تكـون فـى مسـتقبل الزمـن عالمًا عظيمًا مثله تفيد البشرية من علمك كما أفادها ابن أبى الأشعث بعلمه وبكتابه قوى الأدوية المفردة.

* * *

كتاب

ما لايسع الطبيب جهله

كان شارل يسرع فى أحد شوارع باريس، فتوقفت سيارة بالقرب منه، ونادت عليه صديقته روز، اقترب منها ففتحت له باب السيارة فركب بجوارها، فبدأت تتحرك وسألته عن وجهته؟ فأبلغها أنه ذاهب إلى المكتبة الوطنية للبحث عن كتاب هناك، فهو يعد رسالة الماجستير فى الصيدلة وبالتحديد فى علم الأدوية الطبى Medical Pharmacology، وسألته روز عن ذلك الكتاب، فأخبرها أن الأستاذ المشرف على رسالته قد أمره بضرورة الاطلاع على ذلك الكتاب كى يتحدث عنه، حينذاك سألته روز: ألم تخبرنى ياشارل أنك فرغت من كتابة رسالة الماجستير بالفعل؟

أجابها: أجل، ولكن بعد الانتهاء منها رأى الأستاذ أن نضيف إلى التمهيد صفحات قليلة عن تاريخ علم الأدوية الطبى.

صرخت روز: ويلك ! لقد أخبرتنى فى الأسبوع الماضى أنك كتبت تلك الصفحات.

قال شارل: أجل، وقد ذهبت بها للأستاذ، وسعد بها جدًّا، ولكنه أبلغنى أنها تنقص كتابًا واحدًا هو الكتاب الرائد فى هذا المجال، فهو

أول كتاب يؤلف فى علم الأدوية الطبى فى العالم، وتوجد منه مخطوطة فى المكتبة الوطنية بباريس، ها قد وصلنا، إلى اللقاء ياروز.

هتفت روز : لم تخبرنى باسم الكتاب ياشارل؟

فقال لها : فيما بعد ياروز فيما بعد.

التقى شارل وروز ، كان ذلك اليوم مختلفا عن كل الأيام السابقة، ففى ذلك اليوم سوف تناقش رسالة الماجستير التى أعدها شارل فى علم الأدوية الطبى.

سألته روز : هل تتذكر ذلك الكتاب ؟

سألها مستفسرًا : أى كتاب ياروز؟

قالت له : الكتاب الذى ذهبت إلى المكتبة الوطنية للاطلاع على مخطوطة له، لقد سألتك يومها عن اسمه فلم تجبنى.

قال لها: آه ، إنه كتاب ما لايسع الطبيب جهله.

وجدت روز أن الاسم غريب ، فسألته عن مؤلفه فقال : اسمه يوسف بن الكتبى.

ووجدت أن اسم مؤلفه أيضًا غريب، فطلبت منه أن يحدثها عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه فقال لها:

سوف تستمعين لمعلومات مختصرة عن الكتاب وعن مؤلفه ياروز وأنا أعرض ملخصًا لرسالتى، فلا تتعجلى، المهم أن تسرعى بنا الآن إلى الجامعة.

حينذاك زادت روز من سرعة سيارتها، وهى تخترق بها شوارع باريس متجهة إلى الجامعة.

جلست روز وهى فى أعظم حالات انتباهها، خاصة حين بدأ شارل يتحدث عن كتاب ما لايسع الطبيب جهله، إذ كانت فى شوق لمعرفة معلومات عن ذلك الكتاب الذى يُعد أول كتاب يؤلفه عالم فى علم الأدوية الطبى، وكان شارل يتحدث بتركيز شديد.

* * *

الكتاب

يُعد كتاب ما لايسع الطبيب جهله أول كتاب فى العالم تم تأليفه فى علم الأدوية الطبى، وقد ألفه يوسف بن الكتبى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، وقد اشتمل الكتاب على رؤية جديدة لما يجب أن تكون عليه المؤلفات المهتمة بعلم الصيدلة، إذ ركز على مكونات الدواء وتأثيره، بينما كانت الكتب التى ألفها العلماء من قبله تهتم بالناحية الوصفية، ولعل عنوان الكتاب دليل على روح التحدى التى تحلى بها مؤلفه.

وقد ركز يوسف بن الكتبى فى كتابه على الناحية العملية بينما ركزت الكتب السابقة على الناحية النظرية ، **فهو أول كتاب قائم** بذاته عن الدواء.

وقد جعله فى قسمين: القسم الأول فى مفردات الأدوية والأغذية، والقسم الثانى فى الأدوية المركبة والأقراباذين، وصدَّر كل قسم بمقدمة تتضمن قوانين وأحكامًا فى الصناعة الطبية والدوائية، واتبع نهجًا عامًّا فى دراسة الأدوية، فرتب كل مواد الكتاب ودرس أدويته بأسلوب موحد، ومن خلال نقاط محددة، تتمثل فى ٨ نقاط هى:

١- اسم النبات : يذكر ابن الكتبى اسم النبات، ومصدره اللغوى، وتفسيره والأسماء الأخرى التى يعرف بها هذا النبات.

٢- مكان وجوده: من حيث نوعية الأرض والتربة التى يزرع فيها، واسم المكان الذى يكثر فيه.

٣- وصف النبات: يذكر وصف النبات من ثلاث نواحٍ:

أ- وصف أجزائه المفيدة طبيا.

ب - تحديد زمان نمو النبات حسب فصول العام.

جـ - أفضل وقت لقطفه.

٤- مزاج الدواء ودرجته فى قوته.

٥- استعمالات الدواء: من حيث الاستطبابات، والمقدار المستعمل منه وطريقة استعماله.

٦- ضرر الدواء : حيث يذكر آثاره الجانبية، وكيفية استدراكها، وإعطاء مايزيل تلك الآثار الجانبية.

٧- البدائل من الأدوية .

٨- توضيح الاختلاف بين الدواء وبين مايشبهه من الأدوية الأخرى.

وقد اشتمل كتاب ما لا يسع الطبيب جهله على نصائح وجهها يوسف بن الكتبى إلى الصيادلة، فذكر أن على الصيدلى أن يختبر الأدوية بنفسه، كما يشير إلى أساليب تحضير العلاج بأنواعه المختلفة -المفردة والمركبة- كما يوصى بصرف وتحضير أفضل المركبات وأجود التحضيرات الخالية من الغش والرداءة لتكون صالحة للاستعمال ونافعة للمرضى.

وجعل ابن الكتبى الإشارات إلى الأدوية النباتية التى أوردها فى كتابه مرتبة بحسب حروف المعجم حتى يسهل على الباحث التوصل إلى المادة التى يبغيها.

أهمية الكتاب :

تتجلى أهمية كتاب ما لايسع الطبيب جهله الذى ألفه يوسف بن الكتبى فى ريادته لعلم الأدوية الطبى إذ كان أول كتاب فى العالم يؤلف بأسلوب علمى فى هذا الميدان، وهو يبحث فى مفردات الأدوية

وتركيبهـا، وأثـر الـدواء علـى الجسـم، كمـا تحدث عن الغذاء وتقسيماته وأنواعـه، **وكذلـك أشـار إلى الأخطـاء التـى يقـع فيهـا الأطبـاء والعشـابون** الذيـن لم يحيطـوا علمـا بكـل الأدويـة و لم يعرفـوا جميع منافعها ومضارها، وقـد أراد يوسـف بـن الكتبـى أن يكون كتابه دستورًا طبيًّا شاملاً يرجع إليه الأطباء والمشتغلون بالمهن الصحية فى أعمالهم وفى تعلمهم، ويمكننا التعـرف علـى بعـض آرائـه العلميـة بـاجتزاء قـدر مـن المقدمـة التـى كتبهـا للقسم الثانى من كتابه حيث يقول :

"ثـم اعلـم أن الله -عـز وجـل- أظهر جميع ما فى طبيعة العالم -من الكمـالات- مـن القـوة إلى الفعـل وهلـةً أو بتـدرُّجٍ، واعلـم أن الأمـراض متعددة بسيطها ومركبها، ولكل واحدٍ منها بدايات ونهايات ومراتب، فإذا أردنا إزالة مرض فلابد أن نجعل الدواء أقوى من قوة المرض ليقهره، واتخـاذ الـتركيب يحتـاج إلى معرفـة أجـزاء المركـب ولوازمـه الداخلـة فيـه والخارجة عنه والآلات المستعملة وكيفية العمل، فالدواء المركب لابد أن تحصل له كيفية غير مالكل واحدٍ من مفرداته، والطبيب المباشر يزيد منه وينقـص علـى قدر الحاجة الحاضرة، مع مراعاة المزاج الطبيعى الأصلى، وطبيعـة المـرض ونوعـه وسـببه وتشـخيصه وسـن المريـض وعاداته وأحواله ومهنته ومسكنه والزمن من السنة، والمناخ فى فصولها، وبعد الموضع أو قربـه، وقـوة احتمـال المريـض، وقـوام المـادة، وقـوة العضو المداوى، وقوة حسـه أو بلادتـه، وقـوة مفـردات الـدواء المركـب، ومـن يتقـن أمور المهن

الصحية وقوانينها بحكمة وتدبير للمرضى يجب ألا يتوقف فى تركيبه وتحضيره للأدوية على نقل ناقل، ولايعتمد على ماتمارسه العجائز والعوام فى الطب الشعبى كما يفعل بعض الأطباء".

ويتضح من ذلك الجزء الذى أوردناه أن يوسف بن الكتبى وضع قوانين للأدوية وكيفية استخدامها ومايجب عمله من قبل المتعامل معها.

وتتجلى أهمية كتاب ما لايسع الطبيب جهله -أيضا- فى تلك القوانين التى وضعها مؤلفه، وهى نفس القوانين التى سار عليها الصيادلة من بعده حتى عصرنا الحديث، ويتضح ذلك فى مؤلفات الصيادلة الذين جاءوا من بعده ليس فى الشرق فقط وإنما فى الغرب أيضا، فقد كان تأثيره بارزًا فى كتابات العلماء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر أمثال سيلفيوس الهولندى الذى كان عالما فى الفيزياء والكيمياء والنبات بالإضافة إلى علمه الطبى الواسع، وكذلك تلميذه هيرمان بويرهافى، كما يظهر تأثير ابن الكتبى أيضا فى أجزاء متفرقة من أبحاث سينهام الذى سمى (أبقراط الإنجليزى)، وهو صاحب إنجازات ضخمة فى ميدان الصيدلة، كذلك يتبدى تأثير ابن الكتبى فى أبحاث العالم الإيطالى مانليوس دو بوسكو، بل فى بعض مستحضرات باراسلوس أبى الصيدلة، كما تتجلى عبقرية ابن الكتبى فيما تتبعه شركات الأدوية فى العالم بأسره من توصيات طبية وصيدلانية كان هو أول من ذكرها فى كتابه مالا يسع الطبيب جهله، بل إن عظمة ابن الكتبى تشهد بها أية

نشرة موجودة فى علبة من علب الدواء المنتشرة فى أرجاء الدنيا، فإن ماتشتمل عليه أية نشرة دوائية لاتختلف بياناتها عما أورده ابن الكتبى فى كتابه، اللهم إلا فى نقطة واحدة لم يوردها، هى درجة امتصاص الدواء فى الجسم، وهو أمر لم يتمكن العلماء من قياسه إلا فى العصر الحديث.

سرحت روز فى عظمة يوسف بن الكتبى وعبقريته الخارقة التى جعلته يسبق عصره، فيحقق كل تلك الإنجازات الضخمة التى شهد بها كتابه الرائد ما لايسع الطبيب جهله، وتمنت أن يكون شارل واحدًا من هؤلاء العلماء الذين يحفرون أسماءهم فى تاريخ الصيدلة فى العالم كما فعل العالم العربى يوسف بن الكتبى، سرحت روز ، وشعرت بروح ابن الكتبى تحضر إلى قاعة المناقشة ، وأخذتها الأفكار لدرجة أنها لم تستمع لما قاله شارل عن حياة ابن الكتبى بعد ذلك.

المؤلف :

هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن إلياس بن أحمد الجوينى البغدادى، المعروف باسم ابن الكتبى، ولد فى بغداد فى الربع الأخير من القرن السابع الهجرى تقريبًا، تلقى تعليمه ونبغ فى علوم كثيرة أهمها الفقة والطب وعلم النبات، وعمل طبيبا فى المستنصرية، وكان العرب يخصصون قسما -فى كل مستشفى- لتدريس علوم الطب والصيدلة،

وقسما للصيدليات وتحضير العقاقير وصرفها للمرضى، وكان ابن الكتبى مهتما بالأدوية اهتمامًا شديدًا لكونها وسيلة العلاج الفعالة، وكان معجبًا بكتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية للعالم ابن البيطار، لكنه أخذ عليه اهتمامه بالناحية النظرية أكثر من الناحية العملية، وقد شن حملة على الأطباء الذين لايدققون، وعلى الصيادلة الذين لايختبرون الدواء، وعلى أولئك الذين يغشونه بمواد مشابهة، وعاش متفانيًا فى خدمة المرضى وفى الاهتمام بتطوير علم الأدوية إلى أن توفى سنة ٧٥٦ هـ فى بغداد.

انتبهت روز فجأة حين لمست الفتاة -الجالسة بجوارها- ذراعها، وهمست فى أذنها تبدى إعجابها بما يقوله شارل فى رسالته للماجستير، نظرت روز إليها ولم تعلق، وركزت اهتمامها فيما يدور فى القاعة، إذ وجدت أنه ليس من المستحسن أن ينشغل ذهنها بابن الكتبى وكتابه ما لايسع الطبيب جهله، بينما تتعلق عيون الفتيات بحبيبها شارل.

* * *

كتاب
الأدوية المفردة

انزعج جون انزعاجًا شديدًا حين عاد إلى منزله فوجد ابنته إليزابيت تبكى، فهو يحن عليها، ولها فى قلبه مكانة لاتوازيها مكانة، سألها عن السبب، فأخبرته أن الأستاذ الذى يدرس لهم مادة الأدوية قد أهانها أمام زملائها، إذ سألها سؤالاً فعجزت عن الإجابة.

قال لها والدها :

ولماذا لم تستذكرى دروسك جيدًا ياحبيبتى، حتى إذا ما سألك هذا الأستاذ أو غيره استطعت أن تجيبيه؟

قالت له :

إنك ترانى دائمة المذاكرة يا أبى، لكنه سألنى فيما لا يوجد له مصدر تحت يدى، وهو لم يدرسه لنا.

تعجب جون وسألها: لماذا أهانك إذن؟

أجابته : أراد أن يدلل لنا على حاجة الطالب الدائمة للعلم.

قال جون : لا بأس، يمكنه أن يقوم بذلك، ولكن دون أن يهينك أمام زملائك ياابنتى، وعلى أى حال اذكرى لى ماحدث بالضبط.

قالت إليزابيث: حصل على كتاب قديم لطبيب يونانى اسمه جالينوس استخرج منه دواء لم يمر علينا، ولانعرف عنه شيئا، وهذا

الدواء يستخرج من نبات طبى لانعلم اسمه ولم نسمع عنه من قبل، وسألنى عن عمل ذلك الدواء، فعجزت عن الإجابة، وحينذاك أخذ يتحدث عن أهمية أن يكون الصيدلى واعيا، وأن يظل دائما يبحث عن الدواء الجديد، وألا يكون جاهلاً بما تكتظ به الكتب القديمة من معلومات، فلا يكتفى بما بين يديه من كتب، وهكذا ظل يتكلم على هذا المنوال، موجهًا حديثه إلىّ، وأنا واقفة بين زملائى أكاد أموت من شدة الخجل.

شعر جون بالغيظ من ذلك الأستاذ، إذ رأى أنه كان يمكنه أن يقول كل ذلك دون أن يجرح شعور أحد من تلاميذه، خاصة إذا كان رقيق الشعور مثل ابنته إليزابيث، لكنه أراد أن يكون ذلك الموقف مفيدًا لابنته.

كان جون يفكر فى هذه الأمور حين قالت له ابنته: فيم سرحت يا أبى ؟

أجابها: فيما فعله وفيما قاله أستاذك الجليل يا ابنتى.

شعرت إليزابيث أن أباها لن يتركها فى حالة الاكتئاب والحزن التى أصابتها، وعلمت أنه يفكر لها فى حل مفيد، نظرت إليه وهى تترقب أن تنفرج شفتاه عن الحل، فقال لها: سوف أجعلك تطلعين على كتاب يا ابنتى لم يحاول أحد الاطلاع عليه منذ أن عينت أمينًا لمكتبة المتحف البريطانى ها هنا فى لندن.

سألته: أى كتاب هذا يا أبى ؟

أجابها: هو كتاب موسوعى فى الأدوية، ويضم الأدوية التى ذكرها جالينوس وغيره من الأطباء القدامى بعد اختبارها وتمحيصها وذكر النافع منهـا، ومـن الممكـن أن يكـون أسـتاذك نفسـه لم يطلـع عليه من قبل فما رأيك يا إليزابيث؟

كادت تقفز من الفرحة وسألت أباها إن كان قد قرأ ذلك الكتاب فأجابهـا: نعـم يا ابنتى لقد قرأت أجزاء متفرقة وهو كتاب جليل اسمه كتاب الأدوية المفردة.

سـألت أباهـا أن يحدثهـا عن ذلك الكتاب، فأخذ يحدثها عنه، وهى تنصت له باهتمام شديد.

* * *

الكتاب

يُعد كتاب الأدوية المفردة لابن وافد الأندلسى من أهم الكتب فى مجـال الصيدلـة، فهـو عبـارة عـن موسـوعة ضخمـة تشـتمل علـى الأدويـة المفـردة التى ذكرها الصيادلة فى كتبهم من عصر ديسقوريدس اليونانى - الـذى اشـتهر بـين عـامى ٣٢و٦٤ للميـلاد - حـتى عصـره فى القرن ١.١ الميلادى.

وقد أراد ابن وافد أن يكون بين أيدى الأطباء كتاب موسوعى فى الأدوية المفردة يعينهم على التوصل إلى الدواء الصحيح لمرضاهم، خاصة **أن بعض الكتب مثل مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس لم تكن متوافرة** بين أيدى الأطباء، بل إن بعضها لم يكن موجودًا منه غير نسخة واحدة فى خزانة الكتب الخاصة بالأمير المأمون بن ذى النون حاكم طليطلة، وقد استطاع ابن وافد أن يحصل على تلك الكتب النادرة ويتضمن كتابه ماورد فيها من حديث عن الأدوية المفردة.

لقد بذل ابن وافد جهدًا ضخمًا فى جمع مادة موسوعته الدوائية، ويكفى أن نعلم أن كتابًا واحدًا مثل كتاب ديسقوريدس يقع فى خمسة كتب، بيانها كالتالى:

الكتاب الأول : فى ذكر الأدوية ذات الرائحة العطرة، والأذهان، والصموغ، والأشجار الكبار.

الكتاب الثانى : فى ذكر الحيوانات، ورطوبات الحيوان، والحبوب، والبقول المأكولة، والبقول الحريفة، والأدوية الحريفة.

الكتاب الثالث: فى ذكر أصول النبات، والنبات الشوكى، والبذور، والحشائش اللازهرية.

الكتاب الرابع: فى ذكر الأدوية المأخوذة من الحشائش الباردة، والمأخوذة من الحشائش الحارة.

الكتاب الخامس: فى ذكر أشجار العنب، وأنواع الأشربة المختلفة، والأدوية المعدنية.

وجاء بعض علماء اليونان فأضافوا كتابين، والرومان فأضافوا كتابين -إلى ماسبق- فى سموم النباتات والحيوان والترياقات وغيرها، ونسبوهما إلى ديسقوريدس، وبذلك صار الكتاب يتكون من سبعة كتب. أما كتاب جالينوس (١٣٠-٢٠١م) فيقع فى خمسة كتب، موضوعاتها تشبه موضوعات كتب ديسقوريدس، لكن جالينوس أخذ عن ديسقوريدس وأضاف إليه.

وقد كان هذان الكتابان أكبر مرجعين للأدوية المفردة حتى عصر ابن وافد، لذلك ركز عليهما فى موسوعته الدوائية التى ضمت ماتوصل إليه العلماء بعد ذلك.

ولم يقتصر عمل ابن وافد على نقل ماذكره العلماء من معلومات عن الأدوية المفردة، بل امتد جهده إلى أبعد من ذلك، إذ اختبرها، وعلق عليها، وشرح الصعب منها، لذلك صارت موسوعته بديلاً لجميع الكتب السابقة مع الاطمئنان إلى فاعلية الأدوية التى وردت فيها لأنه قام بنفسه باختبارها، ولم يكن هذا بالأمر الهين، لذلك مكث ابن وافد عشرين عامًا يؤلف فى موسوعته الدوائية.

أدى عمل ابن وافد فى هذه الموسوعة الضخمة إلى تمكنه من معرفة الدواء النافع القريب، فنال شهرة عريضة بصفته طبيبًا بارعًا، وامتدت شهرته إلى شمال أسبانيا، لذلك تلقف الأسبان موسوعته، فترجموها إلى اللغة القشتالية، ثم ترجمت من القشتالية إلى اللاتينية.

ضاعت النسخة العربية من كتاب الأدوية المفردة لابن وافد، كما ضاعت النسخة القشتالية مع تفجر الأحداث عبر العصور، ولكن حفظت لنا الأيام النسخة اللاتينية من الكتاب فلم يضع تراث ذلك العالم العربى الذى بذل جهدًا كبيرًا من أجل إفادة الأطباء، كى يتمكنوا من علاج المرضى.

والجدير بالذكر أن ابن وافد الأندلسى قد بوب كتابه فأحسن تبويبه مما ساعد على استخراج المعلومة المطلوبة منه دون جهد كبير.

ويدل الكتاب على ماتحلى به المؤلف من علم غزير فى المجال الدوائى، وقد كان الطبيب -فى عصره- يدرس الطب والصيدلة وعلم النبات، إذ كان على الطبيب أن يكون صيدلانيًّا وعشابًا فى الوقت نفسه، ثم فصلت الصيدلة وعلم النبات عن الطب فيما بعد.

أهمية الكتاب :

ترجع أهمية كتاب الأدوية المفردة لابن وافد الأندلسى إلى تأليفه فى شكل موسوعة دوائية، إذ اشتمل على ماذكره العلماء من أدوية مفردة، وضم ماذكره أكبر عالمين فى ذلك المجال وهما ديسقوريدس وجالينوس اليونانيان مع التحقيق والتدقيق والبحث فى المادة التى يوردها، ثم الإضافة إليها مما توصل إليه بخبرته الخاصة.

ويختلف كتاب الأدوية المفردة عن كل الكتب العربية الأخرى فى أنه تمت ترجمته بعد تأليفه بوقت قصير، بينما غيره من الكتب قد ترجم بعد تأليفه بزمن طويل، لذلك عرف ابن وافد فى الغرب، وانتشر كتاب الأدوية المفردة فى جامعات أوروبا ومعاهدها، وكان من أهم المصادر التى اعتمد عليها طلاب العلم والباحثون فى الصيدلة لعدة قرون، ونسوق هنا حديثه عن أحد النباتات وتعريف ديسقوريدس له، ويليه شرح من ابن وافد حيث قال:

"أَرُوسِيسْقِيطُونُ قال ديسقوريدس: اسم يطلقه بعضهم على نبات السعد، وهو نبات له ورق شبيه بالكرات، غير أنه أطول منه، وأدق وأصلب، وله ساق طولها ذراع أو أكثر، وساقه ليست مستقيمة، بل فيها اعوجاج على زوايا شبيهة بساق الإِذْخَرِ، على طرفه أوراق صغار ثابتة، وأصوله كأنها زيتون، ومنه طوال، ومنه مدور مشتبك.

يعنى ديسقوريدس أن أصول هذا النبات تشبه ثمر الزيتون بعضها مع بعض، فبعض ثمار الزيتون فيها طول، وبعض ثماره مدوره تنبت متشابكة".

وقد كان كتاب الأدوية المفردة لابن واقد هو المرجع للأطباء فى عصره، وللأطباء طوال عصور عدة فى الشرق والغرب على السواء .

* * *

المؤلف :

هو الوزير أبو الْمُطَرِّفِ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى **ابن وافد بن مهند اللخمى الأندلسى، ولد فى مدينة طليطلة ببلاد** الأندلس سنة ٣٨٧هـ، نشأ بها وتعلم وارتحل إلى قرطبة حيث تعلم الطب على يد واحد من أعظم الأطباء العرب هو أبو القاسم خلف الزهراوى، ثم عاد ابن وافد إلى طليطلة حيث علا نجمه وصار من أشهر الأطباء، وأخلص البحث فى الأدوية، فعكف على تأليف موسوعة دوائية ضخمة، واستغرق تأليفه لها عشرين عامًا، وعين وزيرًا لأمير طليطلة المأمون بن ذى النون، ثم ترك الوزارة ليتفرغ للطب والتأليف.

كان ابن وافد فقيها، عالِمًا بالفلاحة، ومن أبرع الأطباء، وكان من أشراف طليطلة، ألف كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الوساد فى الطب، وكتاب مجرَّبات فى الطب، وكتاب المغيث، وكتاب تدقيق النظر فى علل حاسة البصر.

أرادت إليزابيث أن تطير طيرانًا إلى مكتبة المتحف البريطانى، ولكن لم يكن أمامها غير الانتظار للغد.

كانت إليزابيث تذهب إلى محاضراتها فى الجامعة، وتقتنص ساعة أو ساعتين كل يوم تذهب إلى مكتبة المتحف فتقرأ فى كتاب الأدوية المفردة لابن وافد الأندلسى، وتسجل ملاحظات فى دفاترها.

حين فرغت من قراءة الكتاب قال لها والدها جون: أظن أنك لن تستثمرى ماحصلت عليه من معلومات فى إحراج أستاذك يا ابنتى أليس كذلك؟

قالت إليزابيث: فى الحقيقة يا أبى أنا أردت قراءة هذه الموسوعة الدوائية من أجل إحراج أستاذى كما أحرجنى من قبل، ولكن بعد أن قرأتها وأدركت مقدار مابذله ابن وافد فى تأليفها من جهد وسنوات طوال، من أجل خير الناس، قررت أن يكون ماأحصله من علم من أجل خير الناس، وليس من أجل إحراج هذا أو الانتقام من ذاك، وسوف ألتمس من أستاذى أن يدرس لى ولزملائى كتاب الأدوية المفردة حتى تعم الفائدة على الجميع.

* * *

صدر للمؤلف

دواوين شعرية :

١- أغنية لسيناء (مشترك) -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥

٢- الترحال في زمن الغربة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٤

٣- من سمفونية العشق - المركز القومى للفنون والآداب ١٩٨٥

٤- فصل في الجحيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥

٥- ولهية إلى الإسكندرية - مديرية الثقافة بالإسكندرية ١٩٨٨

٦- النيل يعبر المواسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١

٧- قطران من شلال النار - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣

٨- مسافات السفر - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦

دراسات :

١- إطلالة على الشعر السعودى -نادى جازان الأدبى - السعودية ١٩٩٨٥

٢- أحمد بن ماجد أسد البحار - دار المعارف ١٩٩٥

٣- زرياب عبقرى النغم -مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٧

٤- مبادئ العروض - مطبوعات أصوات معاصرة ١٩٩٧

قصص للأطفال :

١- عمر المختار (طبعة أولى) دار الشرق -دولة قطر ١٩٨٩

(طبعة ثانية) المكتب العربى للمعارف -القاهرة ١٩٩٧

٢- عبد الرحمن الداخل صقر قريش -دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩
٣- الصوت الغريب - دار المعارف ١٩٩٤

الفهرس